**الهستيريا الدائرة في تركيا: ترويج نظام لا مستقبل له**

* [سردار م. دجيرمنسي أوغلو](https://newspaper.annahar.com/author/16214-%D8%B3%D8%B1%D8%AF%D8%A7%D8%B1-%D9%85.-%D8%AF%D8%AC%D9%8A%D8%B1%D9%85%D9%86%D8%B3%D9%8A-%D8%A3%D9%88%D8%BA%D9%84%D9%88)

* المصدر: ترجمة نسرين ناضر

* جريدة النهار 22 تموز 2017 | 00:00
* [0](http://www.facebook.com/sharer.php?u=https%3A%2F%2Fnewspaper.annahar.com%2Farticle%2F624239)

مهما أصبحت اسطنبول واسعة أو مكتظة، لا تتغير هيكلية الحكومة المركزية. هناك دائماً محافظ واحد...

قبل نحو عقد من الزمن، لم يكن أحد قادراً على أن يحدّد أين تبدأ اسطنبول وأين تنتهي. والآن بعد انقضاء عقد، أصبحت اسطنبول المتروبوليتانية أكبر من أي وقت آخر. بات عدد سكانها 15 مليون نسمة. المنطقة المتروبوليتانية كبيرة جداً إلى درجة أنها باتت الآن مقسومة إلى نحو 40 بلدية. لكن مهما أصبحت اسطنبول واسعة أو مكتظة، لا تتغيّر هيكلية الحكومة المركزية. هناك دائماً محافظ واحد.

بوجود هذا النوع من هيكلية الحكومة المركزية، قد نتوقّع أن يكون المحافظ شديد الانهماك. ففي منطقة متروبوليتانية تضم 15 مليون نسمة، يجب أن يكون المحافظ منشغلاً على امتداد اليوم. وبما أن اسطنبول في حالة توسّع مستمرة، لا بد من أن المحافظ يفكّر في مستقبل المدينة طوال الوقت.

قد تساعد نظرة سريعة إلى صفحة المحافظ الرسمية عبر موقع "تويتر"، أصحاب العقول الفضولية في مهمة اكتشاف ما يفعله. يُستخدَم حسابه عبر موقع "تويتر" بصورة يومية. وتترافق معظم التغريدات مع صورة فوتوغرافية. يبدو المحافظ منهمكاً. فلنتوقّف عند نشاطه في شهر حزيران.

في الأول من حزيران، حضر المحافظ مأتماً لتشييع جندي سقط في القتال، إذاً إنه رسمياً مأتم شهيد. وفي اليوم التالي، في الثاني من حزيران، حضر مأتماً ثانياً لتشييع جندي آخر سقط في القتال. إنه شهيد آخر ومأتم رسمي آخر. لكن لا بد من أنه كان مأتماً مهماً لأن الرئيس التركي حضره أيضاً.

في حزيران، تواجد المحافظ، كل مساء تقريباً، في إفطار رمضاني. وفي السادس من حزيران، حضر الإفطار الرمضاني السنوي التي تنظّمه مديرية الشرطة في اسطنبول تكريماً لعائلات الشهداء وقدامى المحاربين. وفي الأسبوع التالي، 14 حزيران، شارك في الإفطار الرمضاني السنوي الذي تقيمه مديرية الجندرمة في اسطنبول تكريماً لعائلات الشهداء وقدامى المحاربين أيضاً.

18 حزيران، إفطار رمضاني آخر. هذه المرة، تواجد المحافظ مع عائلة شهيد من "شهداء ديموقراطية 15 تموز". يُشار إلى أن النظام سارع إلى إطلاق تسمية "شهداء الديموقراطية" على الأشخاص الذين قضوا في 15 تموز من العام الماضي في حمّى المحاولة الانقلابية.

في 24 حزيران، حضر المحافظ مأتماً رسمياً لشهيد آخر. من الواضح أنه كان مأتماً مهماً نظراً إلى أن وزير الدفاع كان حاضراً أيضاً. بعد يومَين، في 26 حزيران، زار المحافظ منزلَين. لا بد من أنه لزيارته سببٌ مهم. وإلا لماذا يزور المحافظ هذين المنزلين؟ للسبب علاقة باهتمام النظام بالشهداء. يزور المحافظ عائلتَي جنديين سقطا في القتال.

قد يجد الأشخاص غير المعتادين على الأجواء السياسية في تركيا، صعوبة في فهم الأسباب التي تجعل محافظ المدينة الأكبر في البلاد منشغلاً جداً بهذه الأنشطة الاحتفالية. ليس صعباً فهم السبب. يروّج النظام النزعة العسكريتارية والشهادة. الجنود الذين سقطوا في القتال ومآتمهم هم النتيجة الطبيعية لهذه السياسة. غير أن هذه المآتم لا تحدّ من شعبية النظام. الحكّام في تركيا منهمكون بتسويق الشهادة بأنها هدية من السماء، الخدمة القصوى التي يقدّمها المؤمن لبلاده ودينه.

إفطارات رمضان هي مناسبات دينية. عند تنظيمها تكريماً لعائلات الشهداء، تحمل معنى القيمة الدينية المرتبطة بالتضحية القصوى. تؤمّن الزيارات إلى المنازل اللمسة الشخصية. والاحتفالات الرسمية هي بمثابة واجهة عرض لوسائل الإعلام.

لا يجرؤ أحد على التشكيك في قدسية الشهادة. من الصعوبة بمكان الحديث عن الشهادة في ظل هذا العدد الهائل من الجنود القتلى والعائلات التي لا ترغب في التفكير في أن أبناءها ماتوا عبثاً. إذاً يضفي الشهداء شرعيةً على الحرب التي قضوا من أجلها. هذا بالضبط ما يريده النظام. الشرعية لسياسة قاتلة وعقيمة. اسم اللعبة هو الشهادة.

ابتدع النظام عبارة "شهداء الديموقراطية" انطلاقاً من المنطق نفسه. أولئك الذين قُتِلوا في 15 تموز من العام الماضي في حمّى المحاولة الانقلابية رُفِعوا سريعاً إلى مرتبة القداسة. أُطلِق على التجمّع الذي أقامه النظام لدفع تركيا نحو طريق سياسي مسدود، اسم "تجمّع الديموقراطية والشهداء" بغية ترسيخ الفكرة في أذهان الرأي العام. لقد مات هؤلاء الأشخاص في سبيل قضية مجيدة: ماتوا جميعاً في سبيل النظام. إذا كانوا مستعدّين للاستشهاد من أجل النظام، فهذا يعني أن النظام يستحق الموت لأجله.

دافع الناس عن النظام، لذلك لا بد من أنه جيد وديموقراطي. لا يدرك أحد ما جرى فعلاً في 15 تموز من العام الماضي. غير أن هذه المسألة تضمحل في ظلال "شهداء الديموقراطية" - يلغي موتهم البحث عن الحقيقة.

لهذا السبب على الأرجح يُعير محافظ اسطنبول اهتماماً خاصاً لـ"شهداء الديموقراطية" وعائلاتهم. لعله السبب وراء لقائه في 31 أيار/مايو الماضي خمسة أشخاص تُطلَق عليهم تسمية "قدامى محاربي 15 تموز". لا تؤدّي الصدفة أي دور على الإطلاق في هذا المجال؛ إنه أمرٌ بغاية الجدّية. حتى إن النظام أسّس منظمة غير حكومية تحت اسم "جمعية 15 تموز"، وحضر المحافظ الإفطار الرمضاني الذي أقامته المنظمة في 8 حزيران.

من الواضح أن محافظ اسطنبول شديد الانشغال بتسويق الشهادة، وعلى وجه الخصوص الشهداء الذين تُطلَق عليهم تسمية "شهداء الديموقراطية". فالنظام على المحك. لكنه ليس الوحيد المنهمك بهذه المسألة. لنتوقّف عند المثال الأحدث عهداً. بدأ محافظ نيغدة يومه الأول في الخدمة بزيارة ضريح عمر خالص دمير، وألقى خطاباً مؤجّجاً للمشاعر. تحوّل خالص دمير بطلاً لأنه أطلق النار على أحد الجنرالات الذين كانوا يقودون المحاولة الانقلابية وأرداه قتيلاً. المهمة الأولى بالنسبة إلى المديرين العامين في تركيا هي ترويج الشهادة و"نصر 15 تموز".

كانت خدمة الرأي العام أولوية بالنسبة إلى المديرين العامين في ما مضى. أما الأولوية الآن فهي ترويج نظام لا مستقبل له. هذه هي حقيقة الهستيريا الدائرة. في تركيا كما في أماكن أخرى.

**باحث زائر في جامعة Université libre de Bruxelles . أرسَل هذا النص لـ"قضايا النهار".**

**(openDemocracy)**